

وأيا ما كان الأمر فقد حدث تحول كبير في فلسفة التلقى من المفهوم القديم في اعتماده على المناهج التي تهتم بحياة صاحب النص إلى مفهوم جديد يتزع بأصحابه تحت «إنسانية الأدب» إلى استبعاد العوامل التاريخية والبيئية في دراسة النص، وإهمال دور الأديب أو الكاتب، وخاصة في مجال الشعر.

أما القارئ في علاقته بالنص فقلبيبات مشكلة تثير القلق، وتستدعي الحوار والجدل بين رواد المذاهب النقدية الحديثة، حتى توزع الفكر النقدي تبعا لهذه المشكلة في اتجاهين: اتجاه يمثل النقد الماركسي والرمزية الفرنسية، وفيه يكاد يلغى دور القارئ في عملية التلقى. واتجاه آخر تمثله الوجودية والبنوية، وفيه تبدو ذاتية القارئ وفرديته المستقلة متفوقة إلى حد بعيد.

وفي الآونة الأخيرة بدأ الاتجاه الثاني يستهوى أندية النقد في المجتمع الغربي، حتى كانت فكرته العامة منطلقا لرؤية نقدية، تبتتها جامعة (كونستانس) الألمانية في السبعينات؛ للوصول إلى مفهوم جديد في نظريات القراءة والتلقى. وقد تجسدت رؤيتهم بعد جهود طويلة في نظرية، أطلقوا عليها «نظرية الاستقبال» وتعد النظرية بالمعيار الزمني هي أحدث ما انتهى إليه الفكر النقدي في فلسفة التلقى على مدار ثلاثين عاما مضت، وتعد بالتالي... محورا هاما من محاور هذا البحث، وربما كانت الباعث الأهم على النهوض بفكرته منذ البداية. فبعد قراءة النسخة^(١) العربية تبين لي أن المحاور الفكرية التي اشتغل بها رواد النظرية ربما تكون ذات صلة مباشرة أو غير مباشرة بحركة النقد القديم عند العرب واليونان، وإن كانت القراءات الأولية تغلب الظن بأن الفكرة العامة التي انطلقت منها هذه النظرية قد تنتهي على شاذبة بحركة الفكر النقدي الحديث في الغرب. ومن ثم رأيت أن يكون مفهوم الاستقبال كما تبنته النظرية نقطة محورية لدراسة مقارنة، تنظم خلاصة الفكر النقدي في فلسفة التلقى عند أرسطو، وجمالياته في تراثنا النقدي، وتشعباته المذهبية المتعددة في المذاهب الغربية. فالقضية بتعدد علاقاتها الفكرية، وبهذا التنوع في منازعها الفنية كانت مغرية بهذا البحث، داعية إلى الاضطلاع به رغبة في استجلاء المنازع المشتركة أو المتباعدة بين نظرية الاستقبال وما سبقها من نظريات نقدية، ربما تهيأت لها أسباب القبول في أندية النقد الغربي والعربي على السواء.

(١) نقل هذه النظرية من الألمانية إلى الإنجليزية - روبرت سي هول - ١٩٨٩، ثم نقلنا إلى العربية الناقد السوري - د رعد عبد الجليل جواد، وتم نشرها عام ١٩٩٢ - دار الحوار للنشر والتوزيع - اللاذقية.

